أثر التعطل في الشباب

للعمل تأثير سيكلوجي في النفس . وكذلك للتعطل . لأن الشاب الذي يعمل ويكسب يستشعر الكرامة الاجتماعية من حيث أنه قد انسجم في المجتمع وسار على أقيسته في الاجتماع والأخلاق والاقتصاد . فهو يحس كرامة هذا الانسجام . وهو لذلك يتحمل تبعات العمل وكأنها ميزات يمتاز بها . وللعمل في ذاته قوة على الرقي الأخلاق . لأن الشاب وهو يعمل في وظيفة حكومية أو حرة يراعي المواظبة ونظافة الهندام ورقة الحديث ودقة التفصيلات وكياسة المعاملة لرؤسائه . ثم هو يجد في نفسه طموحا الى الترقي . وهذا الطموح يبعث فيه همة جديدة أو همة تتجدد كل يوم لزيادة كفاءته ومهارته ، وهو في هذا الطموح وهذه الرغبة في الرقي وهذا التمهر في العمل يعيش في حال نفسية سوية بعيدة عن الانحرافات الخطيرة التي تنشأ من كظم الرغبات والشهوات .

وعلى خلاف هذا نجد الشاب المتعطل . فان الاغتمام الدائم يجمد ذهنه فلا يطلب رقيا . كما أن شعوره بأنه عقيم في المجتمع يحول بينه وبين الطموح . ومن المعروف المألوف أن الابتهاج يبعث النشاط والحركة كما أن الحزن يحدث الجمود والسكون . ومن هنا نجد الشاب المتعطل قليل الانبعاث يكره النشاط والحركة والإقدام . وهذه الحال بالطبع تزيده تأخرا وتباعد بينه وبين المجتمع .

حدث قبل سنوات في إحدى مدن هنغاريا أن قام أحد الأساتذة بتجربة في مكتبة المدينة التي يغشاها الجمهور للقراءة وللاستعارة ، وهي من المكتبات التي تنشئها المجالس البلدية وتحوي فيها مئات الكتب الشعبية ، لكي ينتفع بها الجمهور بالمجان . ولأول وهلة نعتقد أن الشاب المتعطل يجد من تعطله فراغا عظيما يمكن أن يستغله في القراءة وزيادة معارفه . وأنه يجب أن يقرأ أكثر مما يقرأ الشاب العامل الذي تشغله وظيفته ويقل فراغه فلا يقرأ كثيرا .

ولكن حدث عكس هذا . فقد أثبتت التجربة التي قام بها هذا الأستاذ أن المتعطلين تقل قراءتهم عما يقرأ العاملون الكاسبون . بل إن هؤلاء المتعطلين يعودون الى النشاط والقراءة حين يجدون العمل الذي يرد اليهم كرامتهم الاجتماعية ويزيل عنهم ذلك الجمود الذي تحدثه الكآبة والاغتمام للتعطل .

وهذه التجربة يجب أن تبقى نصب أعيننا وأذهاننا كلما نظرنا فى مسألة التعطل فى مصر. فإن التعطل يجمد الذهن ويقتل الطموح ويحطم الشخصية ، وليست الثقافة من الهموم الشخصية وإنما هى نشاط اجتماعى ، وما دام الشاب يحس أنه ليس من المجتمع ، وأنه قد انفصل عنه بتعطله فإنه لا يرقى نفسه بالقراءة أو بغير القراءة ، وهذه الحال تتضح لنا عند ما نتأمل متعطلا قد طالت مدة تعطله ، فإنه لا يهمل ذهنه فقط ولا يقرأ الكتب التى تثقف وترقى ، بل هو أحيانا يهمل حتى قراءة الجريدة أو المجلة المسلية ، ثم هو يهمل هندامه وقد يتبادر الى الذهن أن مرجع هذا الاهمال قلة ما يملك من مال ، ولكن قليلا من التأمل يثبت غير هذا . لأن هذا الإهمال يبدو فى أشياء كثيرة لا يحتاج علاجها الى المال ، كهذه المكتبة التى تعير الكتب بالمجان ويقرأ فيها الجمهور الجرائد والمجلات فإن المتعطلين لا يقرأون فيها للجمود الذهنى الذى يستولى عليهم من التعطل . وكذلك الحال فى الهندام نجد الاهمال بارزا فيه حتى غبار الحذاء لا ينفض ، بل كذلك رباط الرقبة لا يوضع فى مكانه ، بل كذلك الطربوش ، ونستطيع اذا دققنا النظر أن نميز لهذا السبب الشاب المتعطل من بين جمع كبير .

ولسنا مع ذلك نقول إن جميع الشبان المتعطلين على هـــذه الحال النفسية السيئة . فان هناك شبانا لا يتركهم طموحهم ، فهم لهذا السبب لا تبدو عليهم الأعراض النفسية للتعطل . ولكن كثرة المتعطلين يتأثرون بتعطلهم ، وقد يزيد تأثرهم إلى أكثر مما ذكرنا من أعراض. فقد ينتهى المتعطل إلى أن يتعب من الغم المخيم على ذهنـــه ويعجز عن مجابهة الواقع المؤلم فيلجأ إلى أحلام اليقظة اللذيذة ، وكثيرا ما نجد مثل هذا الشاب فى قهوة ما وقد ذهبت عيناه فى السماء وهو يستسلم لخواطر لذيذة حين يتوهم لنفسه نجاحا أو تبريزا أو توفيقا لا يجد له ما يبرره فى الواقع . فهو يهرب من الواقع إلى هذا الخيال ، ثم تتطور هذه الحال إلى أن يعود أسير هذه الأحلام . وقد يحتاج عندئذ إلى مستشفى الأمراض العقلية لأن بعض هذه الأحلام قد تجسم حتى صارت له قيمة الواقع .

ولكن ليست الأحلام الطريقة الوحيدة للهرب من الواقع المؤلم . فإن الشاب قد يجد طريقة أخرى فى الانغماس فى الشراب أو فى اتخاذ المخدرات . لأن كل همه أن يغيب عن وجدانه ، فإذا لم تكن أحلام اليقظة كافية فإن الخمر أو المخدرات تقوم مقامها .

وخلاصة القول أن تعطل الشباب ليس مشكلة اقتصادية فقط ، بل هو أيضا مشكلة أخلاقية واجتماعية لأن صحة الشباب النفسية — والجسمية — تتأثر بالتعطل ، أو بكلمة أخرى تنهار الشخصية انهيارا قد يفدح حتى لا تمكن معالجته فى بعض الأحيان ، فيجب أن نحرص على أن نوفر العمل لجميع شبابنا .